

الفصل الثالث
موضوعات الشعر الجاهلي ومصادره

obbeikandi.com

الفصل الثالث

موضوعات الشعر الجاهلي ومصادره

وإذا كان الشاعر الجاهلي - وقبيلته من ورائه - قد جعلوه همهم وأولوه كبير اعتنائهم - وصبوا فيه مشاعر نفوسهم واتخذوه فنهم الأدبي الأول - إذا كانوا قد صنعوا ذلك فإن الدارسين ألفوا حين يدرسونه أن يصنفوا قصائده في موضوعات كبرى حسب الهدف من القصيدة. وما تحويه في داخلها من أهم محتوياتها الموضوعية، وأطلقوا على هذا التقسيم اسم " أغراض الشعر " .

أهم موضوعات الشعر الجاهلي:

1- المديح والفخر:

ويعنون به أن يذكر الشاعر مآثر رجل غيره، ويحدث عن صفاته المستحبة فيه وأفعاله المستحسنة منه، ونحو ذلك من سائر ما يعتز به هذا الرجل في بيئته، ويعلو به قدره في مجتمعه.

وقد كثر هذا الشعر في الجاهلية، وقاله الشعراء في بدء أمرهم اعترافاً بفضل الممدوح، وشكراً له على أياديه ونعمه، ولم يقصدوا من ورائه إلى كسب، ولم يسعوا إلى عطاء.

ووظفه بعض الشعراء في حل مشكلات قبائلهم، فكانوا يقصدون به زعماء القبائل يرجونهم في نجدة أو يعينونهم في حرب، ويرحلون به إلى الملوك من الحيرة أو غسان يسعون في العفو عن أسراهم، أو الاعتذار عن أخطاء قبائلهم.

ثم تلا ذلك - وفي أخريات هذا العصر - شعراء قصدوا به
 الملوك لينالوا من عطاياهم مكرمة، ويكتسبوا به المال، بل لم يتوقفوا
 عند قصد الملوك فكان منهم الأعشى والحطيئة اللذان مدحا به زعماء
 القبائل، والأغنياء من الناس رغبة في المال الذي يعطونهما إياه.
 ومن أشهر شعراء المديح زهير بن أبي سلمى⁽¹⁾ والنايعة الذبياني،
 وأعشى قيس وحسان بن ثابت، والحطيئة في شعرهم الجاهلي.
 ومن أمثلة هذا الشعر قول زهير بن أبي سلمى يمدح الحارث بن
 عوف وهرم بن سنان المريين، وقد أصلحا بين عبس وذبيان، وتحملا
 ديات القتلى من مالهما الخاص.

فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله	رجال بنوه من قريش وجُرهم
يميناها نعم السيدان وجدتما	على كل حال من سحيل ومبرم ⁽²⁾
تداركتما عبساً وذبيان بعدما	تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم ⁽³⁾
وقد قُلتما: إن ندرك السلمَ واسعاً	بمالٍ ومعروفٍ من الأمر نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن	بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في علياً معدٌ وهديتما	ومن يستبح كنزاً من المجد يُعظم

أما شعر الفخر هو الشعر الذي يتغنى فيه الشاعر بمزايا نفسه
 وقدراته الفردية، وصفاته وخلائقه وحسن تعامله مع الناس، وقد يذكر

(1) شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق الدكتور فخر الدين قيادة، ص 23: 25.
 (2) السحيل والمبرم: يرمز بهما للشدة والرخاء: يريد أنهما خير سيدين على كل حال في
 الشدة والرخاء.
 (3) منشم: امرأة تباع العطر. غمس الناس أيديهم في عطرها وتعاهدوا على الحرب فماتوا
 جميعاً، فصارت مثلاً في الشؤم يريد أن عبساً وذبيان صاروا كأنهم أولئك الذين
 تعاهدوا على الحرب وغمسوا أيديهم في عطر منشم هذه.

فيه صبواته وأعمال فتوته ومغامراته - مع النساء - ونحو ذلك من سائر ما يراه المجتمع أو يراه هو من خلال تقاليد المجتمع شيئاً حسناً - وإن خالف بعض تقاليد العصور التالية.

ومنه الشعر الذى يُعلى به الشاعر ذكر قبيلته، ويوحد فيه شأنها عن طريق ما تتخلق به أو تتعوده من صفات وأفعال تراها ويرأها الناس معها شيئاً طيباً ككرم النسب وشهامة النفوس، وكرم الخلق، وجراءة القلب، وظواهر ذلك فى الأفعال، من نجدة وبذل وعفة وشجاعة .. ونحو ذلك من علامات الشرف والمجد.

وقد كثر هذا الشعر حتى ما تكاد ترى شاعراً جاهلياً ليس له افتخار، وازدادت كثرته فى شعر الفرسان من أمثال مهلهل بن ربيعة، وعنترة العبسي، وزعماء الصعاليك مثل عروة بن الورد وتأبط شرا ونحوهما، كما زاد فى شعر الشعراء الفتيان من أمثال طرفة بن العبد والحادرة العبسي وقيس بن الخطيم الأوسى وغير هؤلاء كثيرون.

ومن أمثلة الفخر القبلى قول معاوية بن مالك: معود الحكماء⁽¹⁾:

إنى امرؤ من عصبية مشهورة حشد لهم مجد أشم تليد⁽²⁾

ج

ألفوا أباهم سيداً وأعانهم كرم وأعمام لهم وجود

(1) المفضليات، ص 355.

(2) حشد: يجتمعون للضيف والجار، تليد: عريق.

إذ كلُّ حَيٍّ نَابِتٍ بِأَرْوَمَةٍ نَبَتِ الْعِضَاةُ فَمَا جَدَ وَكَيْسِدُ⁽¹⁾

ج

نعطى العشييرة حقها وحقيقها فيها ونعفر ذنبها ونُسود

وإذا تُحملنا العشييرة تُقلها قُمناً به وإذا تُعودُ نُعود

وإذا نُوافقُ جُدأةً أو نُجُدَّةً كُنَّا سُمىً بها العدوُّ نكيدُ

بل لا نقول إذا تبوأ جيرةً إن المحلَّة شغبها مكْدود⁽²⁾

ومن الفخر الفردى قول عنتره يمتدح بخلائقه وعفته⁽³⁾:

ما استحت أنثى نفسها فى موطن حتى أوفى مهرها مولاها

أغشى فتاة الحى عند حليلها وإذا غزا فى الجيش لا أغشاها⁽⁴⁾
وأغض طرفى ما بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى ما واهها
إنى امرؤ سمح الخليفة ما جدُّ لا أتبع النفس اللجوج هواها

2- شعر الحماسة والهجاء والرثاء:

وهو الشعر الذى تُذكر فيه أحداث الحرب بمواقف الأبطال فيها، أو وصفاً لوقائعها الشديدة، وآلاتها القوية، أو كانت الأحاديث

(1) الأرومة: الأصل، العضاة: شجر كبير، الكسيد: الدون، على تشبيهه بالسلعة البائرة.

(2) المحلَّة: البيوت، شغبها: الطريق بين جبلين يريد أنه لا يعتز لأضيافه بالشدة والضيق.

(3) ديوان عنتره، ص 153.

(4) أغشى: أزور.

عنها داعية للحث عليها، والثبات فيها أو الإغراء بها، أو نحو ذلك مما يصل بأسبابها ويدفع إلى إثارته لا إلى النفرة منها.

ولأن الإنسان العربي في جاهليته عاش حياته مستعداً للحرب متهيئاً لها، عادياً على غيره أو معدواً عليه كثر حديثه عن الحرب ومواقفه فيها وتعيينه غيره بالنكوص عنها أو الفرار منها، وعمرت بهذا الشعر دواوين الشعراء الفرسان من أمثال عنترة العبسي وعمار بن الطفيل العامري، وعمرو ابن معديكرب الزبيدي، ولم يكد يخل من هذا الشعر ديوان شاعر أو مجموعة قصائد.

ومن أمثلة هذا الشعر قول عمرو بن معديكرب الزبيدي (1) :

أعددتُ للحربِ ففضافضةً	دلاصاً تنئى على الراهش (2)
وأجرد مُطرداً كالرشاء	وسيف سلامة ذى فائش (3)
وذات عدادٍ لها أزمَلُ	برتها رماة بنى وابش (4)
وكل نحىض فتيق الغرارِ	عزوفٍ على ظفرِ الرائش (5)
وأجرد ساط كشاة الإرا	ن ريع فعونٌ على الناجش (6)

(1) الأصمعيات، ص 177.

(2) فضافضة: درعا واسعة، ولاها: لينة لامعة، الراهش: عصب وعروق باطن الزراع.

(3) الأجرد: يريد به الرمح، مطردا: مستقيماً، الرشاء: الحبل. سلامة ذى فائش: قيل من أقيال اليمن.

(4) ذات عداد: يريد القوس، الأزمَل: صوت، برتها رماة بنى وابش: أعدها رماة هذه القبيلة.

(5) النحيض: السهم المرقق، فتيق الغرار: عريض الحد، عزوف: له صوت، الرائش: الذى يجعل للسهم ريشاً.

(6) الأجرد: الساطي: الحصان الواسع الخطوة، شاة الإران: الثور الوحشي، عن: ظفر، الناجش: الذى يثير الصيد.

ومنه أيضاً قول عمرو بن كلثوم⁽¹⁾ :

متى ننقل إلى قوم رحانا
يكون ثفالها شرقى نجد
نُطاعنُ ما تراخى الناسَ عنا
بسمرٍ من قنأ الخطى لُدن
ونضرب بالسيوف إذا غشينا
ذوابل أو بيض يختلينا⁽³⁾
ونخليها الرقاب فتختلينا

أما الهجاء فيطلق على الشعر الذى تسجل فيه سيئات الرجال وقبائح أعمالهم وأخلاقهم وصفاتهم وأقوالهم وأنسابهم، وكثيراً ما وجد فى الشعر الجاهلى مصحوباً بالتهديد على فعل غير محبوب، أو قول غير مقبول، وعف فيه أصحابه - إلا قليلاً منهم - فلم يتناولوا الأعراس - ولم يهتكوا فى الصفات، وإنما لجأوا فى كثير من الصور إلى تجريد المهجو من الصفات الفاضلة، ليلبسوه صفة رديئة غير مقبولة فى مجتمعه، ومن أمثلته قول النابغة الذبياني يهجو زرعة بن عمرو بن خوليد⁽⁴⁾ :

نبئتُ زرعة والسفاهةُ كاسمها
فحلفت يا زُرْعُ بن عمرو إنني
يهدى إلى غرائب الأشعار
مما يشقُّ على العدو ضيراري
تحت العجاج فما شققت غباري⁽⁵⁾
أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني

(1) شرح المعلقات العشر للشنقيطي، ص 141، 142.

(2) النقالى: الخرقة التى توضع تحت الرحي، اللهوة: حفنة الحب.

(3) السمر: الرماح، قنأ الخطى: الرماح المنسوبة إلى الخط وهى بلدة تشتهر بصناعة الرماح، البيض: السيوف.

(4) ديوان النابغة الذبياتي، ص 54، 55.

(5) العجاج: الغبار، ماشققت غباري: ما لحقنى أى جينت علي.

إنا اقتسمنا خطبتينا بيننا
 فحملت برة واحتملت فجّار⁽¹⁾
 فلتأتينك قصائد وكيد فَعَن
 جيشا إليك قوادم الأكوار⁽²⁾
 رهط ابن كور مُحقى أذراعهم
 فيهم ورهط ربيعة بن حُذارٍ⁽³⁾
 ومن نماذج الهجاء المقذع قول الجُميح الأَسدى يهجو العامريين⁽⁴⁾ :

أنتم بنو المرأة التي زعم الـ
 ناس عليها في الغى ما زعموا
 يَمْرُجُ جارُأسَتهَا إذا ولدت
 يَهْدِرُ من كلِّ جانبِ خصم⁽⁵⁾
 وأمها خيرة النساء على
 ما خان منها الدحاقُ والأثم⁽⁶⁾
 تَشْمِذُ بالدُّرعِ والخمارِ فلا
 تخرج من جوف بطنها الرجم⁽⁷⁾

أما الرثاء هو الشعر الذى يتفجع فيه على الموتى، ويذكر فيه ما كان أحدهم يتصف به من محامد، وما كان يصنع لنفسه ولغيره من خيرات، وما كان بينيه لأهله من أمجاد وما فقد بموته من تلك الملامح الطيبة والخصال الحميدة.

وأحياناً ما كان الشاعر يبكى فى شعره الميت، ويتفجع عليه، ويصف حال الناس وحاله عند شعوره بفقده من أن يهتم بصفات يذكرها للميت، فيصير الرثاء لأحوال الأحياء وفجائعتهم فى ميتهم وحسب.

(1) أى كان لى ولك خصلتان فأخذت أنا البرة، وأخذت أنت الفاجرة.
 (2) يريد: فلا هجوتك بقصائدى، ويغزونك جيش من ركبان الخيل والإبل.
 (3) وهذا الجيش من رهط هذين الرجلين، مستعداً دائماً يوضع دروعه فى حقائب رحاله لتكون أقرب منه.
 (4) المفضليات، ص42، 43.
 (5) يمرج: يخالط، يهدر: يسمع له ببقية، الخصم: الفتحة.
 (6) خيرة مؤنث خير، خان: نقص، الدحاق: خروج فم الرحم مع الولادة، الأثم: إفضاء أحد المساكن إلى الآخر.
 (7) تشمذ: تجنو، وحذف المفعول به وهو ما تحشوه.

وقد كثر الرثاء فى المأثور من الشعر الجاهلى كثرة أملتها ظروف الحياة القلقة والمتحاربة التى عاشها إنسان الجاهلية، وكانت كثرته فى شعر النساء وظواهر اللوعة فيه أبرزها مما هى عند الرجال، حتى لقد خلص له شعر بعضهن أو كاد وكانت الخنساء وجلييلة بنت مرة من أشهر من عرفن بهذا الشعر، ومن نماذجه قول النابغة يرثى حصن بن بدر الفزارى (1).

يقولون: حصن. ثم تَأبَى ثُفُوسُهُمْ وكيف بحصنٍ والجبالُ جُنُوحُ
ولم تَلْفِظِ الأَرْضُ القُبُورَ وَلَمْ تَزَلْ نجومُ السَّمَاءِ والأديمُ صَحِيحُ
فَعَمَّا قَلِيلٍ ثَمَّ جَاشَ نَعْيُهُ فبات ندى القومِ وهو يَنُوحُ

ومنه أيضاً قول سَعْدَى بنت الشمر دل الجهنية تبكى آخاها أسعد (2).

مِنَ الحَوادِثِ والمُنُونِ أَرْوَعُ وأبيتُ ليلي كُله لا أَهْجَعُ
وأبيت مُخْلِية أُبْكى أسعداً ومثله تَبْكى العيونُ وتَهْمَعُ (3)
وتبين العين الطليحة أنها تبكى من الجزع الدخيل وتدمع (4)

ولقد بدا لى قَبْلُ فيما قد مضى وعلمتُ ذاك لو أنُ علماً يَنْفَعُ
أنَّ الحَوادِثِ والمنون كليهما لا يعتبان ولو بكى من يجزع

(1) ديوان النابغة، ص 190.

(2) الأصمعيات، ص 101، 102.

(3) مخلية: مفردة، تهمع: تسيل دموعها.

(4) الطليحة: المتعبة الكلية، الدخيل: الداخلي.

ولقد علمت بأن كل مؤخرٍ يوماً سبيلَ الأولين سَتَبَحُ
أفليسَ فيمن قد مضى ألى عيرةً هلكوا وقد أيقنت أن لن يرجعوا

ولم يخل الشعر الجاهلى من ظواهر فى رثاء الممالك والأمم
السابقة، وإن يكن ذلك قليلاً فيه لكن مجرد وجوده يدل على عراقه
هذا الموضوع فى الأدب العربى، ومنه قول الأسود بن يعفر النهشلى (1) :

ماذا أؤمل بعد آل محرقٍ
أهل الخورنق والسدير وبارقٍ
أرضاً تخيرها لدار أبيهم
جرت الرياح على مكان ديارهم
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشةٍ
نزلوا بأنقرة يسيلُ عليهم
أين الذين بنوا فطال بناؤهم
فإذا النعيم وكل ما يلهى به
تركوا منازلهم وبُعد إباد (2)
والقصر ذى الشرفات من سندان (3)
كعب بن مامة وابن أم دؤاد
فكأنما كانوا على ميعاد
فى ظل ملك ثابت الأوتاد
ماء الفرات يجىء من أطواد
وتمتعوا بالأهل والأولاد
يوماً يصيرُ إلى بلى وتقاد

3- الغزل :

ويراد به الشعر الذى يرصد جمال المرأة فى روحها وجسدها
وسلوكها، ويحبب الرجل فيها ويكثر من حنينه إليها، ويلفته إلى
ذكرياته معها، وليحكى ما جرى بينهما من أقوال وما حدث من أفعال
تجعله يتطلع إليها ويأسف لعدم حصوله عليها.

(1) المفضليات، ص 217.

(2) محرق: لقب بعض ملوك العرب، إباد: قبيلة كان لها عز وجاه.

(3) الخورنق والسدير: قصران بالحيرة، بارق: ماء العراق، سندان: نهر بين الحيرة
والبصرة.

وفى الشعر الجاهلى صنفان من هذا الغزل " أحدهما " حسى
يُعى بالمظاهر الجسدية من المرأة فيصورها، ويصور معها مغامرات
الشاعر ولهوه بها، وامرؤ القيس بن حُجر هو أكثر من قال فى هذا
الشعر، ورسم فيه صورة مثالية لجمال المرأة الجسدى ومن شعره فى ذلك
قوله (1) :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائباً مصقولة كالسجنجل (2)
كبكر مقانة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحال (3)
تصد وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل (4)
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هى نصته ولا بمعط (5)
وفرع يغشى المتن أسود فاحم أثث كقنوا النخلة المتعشكل (6)
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل المدارى فى مُتئى ومُرسل
وكشح لطيف كالجديل مُخصَّر وساق كأنبوب السقى المذلل (7)
وتعطو برخص غير ششن كأنه أساريع ظبى أو مساويك إسحل (1)

(1) ديوان امرئ القيس، ص 15 - 17.

(2) مهفهفة: خفيفة اللحم، غير مفاضة: ضامرة الخصر، ترائبها: أعلى صدرها،
السجنجل: المرأة.

(3) كبكر: مقانة البياض.. الخ، كالدرة التى لم تقب يخالط بياضها صفرة تغذت بالماء
الصافى الذى لم يكدر بالنزول فيه.

(4) الأسيل: الخد الملس الناعم، ناظرة: عين، وجرة: مكان، مطفل: لها ولد.

(5) الجيد: العنق، الرئم: الظبى الأبيض، نعتة: رفعتة، ليس بفاحش: غير قبيح، ولا معطل:
ليس خالياً من الحلى.

(6) وفرع: شعر طويل، يغشى المتن: يغطى الظهر، أثيث: غزير المتعشكل: المتداخل
بعضه فى بعض.

(7) كشح: خصر، كالجديل: كحبل من سير لين، كأنبوب السقى المذلل: كقلب النخلة
المسقى اللدن.

تضيء الظلام بالعشاء كأنها - منارة ممسى راهب متبئ⁽²⁾
وتضحى فتيت المسك فوق فراشه - نثوم الضحى لم تنتطق عن تفضل⁽³⁾
وثانيهما :

شعر عفيف لا يتعلق بأوصاف المرأة الحسية إلا بالقدر الذى يبيديه
الشاعر باعثاً على الإقبال عليها والتعلق بها والتحسر على فقدانها وعدم
نوالها.

أما اهتمامه الأول فهو تصوير مشاعر المحب نحو من أحبها وآلامه
فى البعد عنها وشغفه بالقرب منها، أى تركيزه على مشاعر المحب أكثر
من اعتناؤه بصفات من أحب، وقد عُرِفَ بهذا الشعر شعراء بأعيانهم
أكثرها منه، وشغفوا به ومنهم المرقشان الأكبر والأصغر، ولكل منهما
قصة فى حبه، ومنهم عبد الله بن العجلان، وآخرون غيرهم، ومن قول
المرقش الأكبر فى غزله⁽⁴⁾ :

قل لأسماء أنجزى الميعاد	وانظري أن تزودى منك زاداً
أينما كنت أو حلت بأرض	أو بلاد أحييت تلك البلاد
أن تكونى تركت ربحك بالئ	م وجاوزت حميرا ومرادا
فارتجى أن أكون منك قريباً	فاسألى الصادقين والورادا

(1) تعطو: تتناول، برخص غير ششن: بينان طرى غير غليظ أساريع طبي: ديدان الرمل
بيضاء الجسم حمراء الرأس، مساويك: مساوك يتخذ من شجر الاسل الناعم.

(2) منارة الراهب: سراج- ممسى: امساء- متبئ: منقطع للعبادة وكان لا يطفى سراج.

(3) نثوم الضحى: كناية عن تنعمها- لم تنتطق عن تفضل: لم تشد على خصرها حزاما
على ثوب واحد.

(4) المفضليات، ص 431: 422.

وإذا ما رأيت ركباً مخيباً
فهم صحبتى على أرحل الميِّدِ
نَ يقودون مقريات جيادا⁽¹⁾
س يزجون أينقأ أفرادا⁽²⁾
وإذا ما سمعت من نحو أرض
فاعلمى غير علم شك بأنى
بمحب قد مات أو قيل كاذأ
ذاك وابكى مُصنِّم أن ادى⁽³⁾

4- الاعتذار :

وفيه يتصل الشاعر مما يكون قد نسب إليه من أفعال أو أقوال سببت الجفوة بينه وبين من يعتذر إليه ، ويمزج ذلك بكثير من مدحه ، واستعطافه ، وبيان آثار القطعية فى نفسه.

والنابغة الذبياني هو أكثر من قال فى هذا المجال ، واعتذاراته للنعمان بن المنذر تملأ مكاناً واسعاً من ديوانه ، ومنه قوله⁽⁴⁾ :

فلا لعمرُ الذى مسختُ كعبته
والمؤمن العائذات الطير يمسخها
وما هريقَ على الأنصاب من جسر⁽⁵⁾
ركبان مكة بين الغيلِ والسعد⁽⁶⁾
ما قلتُ من سيئ مما أتيت به
إذا فلا رفعتُ سوطى إلى يدي⁽⁷⁾
إلا مقالة أقوام شقيتُ بها
كانت مقالتهم قرعاً على الكبد

(1) مخيبين : مسرعين فى مشيتهم ، المقربة : الفرس .

(2) الميس : شجر تصنع من خشبة الرحال ، يزجون : يدفعون ويسوقون ، أينق : جمع ناقة على القلب ، واصله "أنوق" .

(3) المصنف المقيد الأسير ، أن يفادى : لنلا يفادى ، أى لا يقبل فداؤه .

(4) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، ص 25 ، 26 .

(5) الأنصاب : حجرة كانوا يذبحون عليها لألهتهم ، الجسد : الدم اللازق .

(6) المؤمن العائذات الطير : الله الذى آمن الطير التى لجأت إلى الحرم ، والغيل والسعد : شجر ملتف .

(7) ما قلت من سيئ : حوالب القسم قبله ، لا رفعت سوطى إلى يدي : إذا كنت قلتها شلت يدي .

أُنِيْتُ أَنْ أَبَا قَابُوسٍ أُوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ⁽¹⁾
 مهلاً فداءً لك الأقوم كلهم وما أثمرُ من مالٍ ومنَ وكَدٍ
 لا تقذفني بُرْكَنٍ لا كِفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأْتُفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ⁽²⁾
 5- شعر الشكوى :

وهو الشعر الذي يحكى فيه أوجاعه وآلامه على شيء فاته من حياته لا يستطيع رده. وأكثر ما توجع الشعراء الجاهليون منه هو فوت الشباب وما فيه من حلاوة الصبوة والقوة والنشاط، والمرأة. ومن الأسف على الشباب قول سلامة بن جندل السعدي⁽³⁾ :

أُوْدَى الشَّبَابُ حَمِيداً ذُو التَّعَاجِيبِ أُوْدَى وَذَلِكَ شَاؤُ غَيْرِ مَطْلُوبِ
 وَكَيْ حَيْثُاً وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ لَوْ كَانَ يُدْرِكُهُ رَكْضُ الْيَعَاقِبِ⁽⁴⁾
 أُوْدَى الشَّبَابُ الَّذِي مَجْدٌ، عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلْدٌ وَلَا لَدَاتٌ لِلشَّيْبِ
 وللشباب إذا دامت بشاشته وَذُ القلوبِ مِنَ البِيضِ الرُّعَايِبِ⁽⁵⁾
 6- شعر الحكمة :

وهو الشعر الذي ينظم الشاعر فيه خلاصة تجاربه في الحياة والأحياء من خلال ملاحظاته لأوضاع المجتمع ومصطربات الناس فيه، وأكثر الشعراء الذين جرت الحكمة على ألسنتهم في شعرهم قلة، ولكنهم ممن امتدت أعمارهم، وطالت خبراتهم بالحياة، وعرفوا بدقة الملاحظة وكثرة التروى فيما يقولون وزهير بن أبي سلمى واحد من هؤلاء

(1) أبو قابوس: النعمان بن المنذر، أو عدني: هددني، لافرار: لا اطمئن.
 (2) لا تقذفني بركن لا كفاء له: لا ترميني بنفسك فليس لك مثلي وإن تأفك.. الخ: وإن تجمع عليك أعدائي للتعاون ضدي.
 (3) المفضليات، ص119، 120.
 (4) الحديث: السريع، لو كان يدركه ركض اليعاقب: لطلبتة.
 (5) البيض الرعابيب: الفتيات البيض وفي أجسامهن لدونه حلوة.

الشعراء، وله فى آخر معلقته مجموعة من تلك الحكم صاغها، حسبما وردت قصيدته، صياغة مجردة.

وهناك من شعراء الفتوة المعروفين بالطيش والاندفاع من نسبت إليهم قصائد حكمية ريفية مصوغة صياغة نصيحة مجردة، نشك فى صحة نسبتها إلى ما نسبت إليه من الجاهليين، ومن هذا ما هو موجود فى ديوان طرفه بن العبد ومنسوبا إليه وهو:

إذا كنت فى حاجة مرسلًا	فأرسل حكيمًا ولا توصه
وإن ناصح منك يوما دنا	فلا تتأ عنه ولا تقصه
وإن باب أمر عليك التوى	فشاور نبيبا ولا تعصه
وذو الحق لا تتقص حقه	فإن القطيعة فى نقصه

فإن روح الشعر العباسى باذية عليه، خاصة فى تشبيه النصيح لمحاولة تكميل جوانب النصيحة مما تبدو فيه عقلية العباسيين الاستقصائية والتجريدية معاً.

7- الوصف :

وهو الاسم الذى يطلق على كل شعر فيما عدا الإنسان سواء كبر موضوعه فتناول ظاهرة سماوية كبرى، أو حدثاً كبيراً مؤثراً فى حياة الناس أو صغر، فتناول حشرة صغيرة من حشرات البيوت أو الرمال. وبالطبع اتسعت دائرة هذا الغرض بسعة موضوعه أو الموضوعات التى اعتنى بها الشاعر الجاهلى فى بيئته، وإذا كان الشاعر الجاهلى لم يترك شيئاً مما وقع عليه إلا كان له فيه شعر - فإن حجم الشعر

الموجود فى هذا الغرض يوشك أن يفوق كل شعر فى غرض سواه.

وأكثر ما اهتم به الشاعر الجاهلى فى بيئته فوصفه هو الحيوان والظواهر الطبيعية المؤثرة فى حياته، وأهمها الحصان والجمل، والسحاب والمطر والصيد، فقد كثر وتميز شعراء بعينهم فى صفة الخيل، وأسرف آخرون فى وصف الجمل والناقة وضمنوا قصائدهم الكبرى صفات لهما، ومما قيل فى وصف الحصان قول أبى دؤاد الأيادي (1) :

وقد أرانى أمام الحمى مكتئباً
ثغراً به من دواعى الموت تثويب (2)
أرعى أجمته وحدى وينسنى
نهد المراكل صلت الخد منوب (3)
ماء جواد عتيق غير مؤتشب
تضمنته له كبداء سرحوب (4)
يلو بفارسه منه إلى سند
عال وفيه إذا ماجد تصويب (5)
وفى اليدين إذا ما الماء أسهله
ثى قليل وفى الرجلين تجنيب (6)

(1) دراسات فى الأدب العربى (غرومباوم)، ص 294.

(2) مكتئباً: حافظاً، تثويب: يصبح فيه الموت مرة بعد مرة.

(3) اجمته: موارده، نهد المراكل: على الجنين حيث يركل.

(4) ماء جواد: هو نسل جواد عتيق، غير مؤتشب: غير مختلط فهو عربى تضمنته... الخ: يريد أن أمه تكلفت بحفظ ماء هذا الجواد العتيق فأنجبت هذا الفرس الكريم، وهى - أمه - طويلة الجسم.

(5) يلو بفارسه... يريد أنه على الظهر إذا وقف، وفيه تصويب إذا ماجد: فيه إذا سار طمانينة مريحة.

(6) تجنيب: انحناء قليل.

- فكل قائمة تهوي لوجهتها
 ولا فى عظامه ولا فى أرساغه عتب
 لها أتى كفرع الدلو أثوب⁽¹⁾
 ولا مشك صفاق البطن مثقوب⁽²⁾
 ولا الشدشد ولا التقريب تقريب⁽³⁾
 بين النعام وبين الخيل خلقته
 خط طريقته أجش يعبوب⁽⁴⁾

ومن صفات المطر المصحوب بالبرق ما قال امرؤ القيس⁽⁵⁾ :

- أصاح ترى برقاً كأن وميضه
 كَلَمَحِ اليَدَيْنِ فى حَبَى مَكَلِّ⁽⁶⁾
 يُضئ سناه أو مصابيح راهب
 أهان السليط فى الذبالِ المفتل⁽⁷⁾

ج

- وأضحى يسح الماء عن كل فيقة
 يكب على الأذقان دوح الكنهيل⁽⁸⁾
 قعدت له وصُحبتى بين ضارج
 وبين العذيب بعد ما متأمل⁽⁹⁾

ج

- وتيماء لم يترك بها جذع نخلة
 ولا أطمأ إلا مشيدا بجندل⁽¹⁰⁾

(1) لها أتى: للقائمة، ماء: أى عرق، أثوب: سائل.
 (2) العتب: الطلح، المشك: مكان الشك حيث تلتصق الذراع بالجنب.
 (3) الضابع: الذى يعد أعضائه عند الجري.
 (4) خاطي البضيع: اجش الصوت، يعبوب: سريع.
 (5) ديوان امرؤ القيس، ص 24، 25.
 (6) وميضه: بريقه، كلمح اليدين: كحركاتها، حبي: سحب، مكلل: متراكم.
 (7) السنا: الضوء، أهان السليط: صب الزيت، فى الذبال المفتل: خيوط المصباح المفتولة.
 (8) يسح الماء عن كل فيقة: أى يصبه دفعة دفعة، الدوح: الشجر الكثير الورق والأغصان،
 الكنهيل: العظيم من شجر العضاء.
 (9) ضارج والعذيب: مكانان، بعدما متأمل: ما أبعد ما أتأمل منه.
 (10) الأطم: البناء.

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل والغشاء فلُكة مَعزَلٍ (1)
كأن ثبيراً فى أفانين ودقه كبير أناس فى بجادٍ مُزَمَلٍ (2)

جج

وألقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليماني ذى اليعاب المخوَل (3)
كأن سباعاً فيه غرقى غدية بأرجائه القصوى أنابيش عنصل (4)

ج

على قطن بالشيم أيمن صوبه وأيسرهُ على السُّتار فيذبَل (5)

ج

ومر على القنان من نفيانه فأنزل منه العُصمَ من كلِّ مَنزَل (6)

ج

ج

ويمكن للدارس أن يجد فى هذا الشعر صفات النجوم وتحركاتها، وتفسيرات أسطورية لبعض ظواهرها.

كما تجد صوراً تصف النعام والطبى والغزال والوعل، ويقر الوحش والثور والأتان والضب، والغنم والبقر، والكلب والصقر، والغراب، والحمام، والقطا - والحية والنمل، والعقرب، وسائر ما يضطرب فى هذه البيئة من حيوان، وفى كتاب المعانى الكبير لابن قتيبة شاعر فى كل ذلك وفى غيره

- (1) النروة : أعلى الشيء والجمع ذرى ، رأس المجيمر: جبل بعينه .
- (2) ثبير: جبل ، أفانين ودقه: أنواع مطره، مزمل فى بجاد: مغطى فى ثياب
- (3) الغبيط: أرض، بعاعة: ثقلة، نزول اليماني... الخ كما ينزل التاجر من اليمن بأمتعه.
- (4) غدية: فى الصباح، أنابيش عنصل: ما نبش من هذا النبات.
- (5) قطن: جبل فى بنى أسيد، الشيم: النظر إلى البرق، الستار ويذبل: جبالن مما يلي البحرين.
- (6) القنان : اسم جبل، نفيانه : ما تطاير من قطر المطر، العصم: الأوغال.

مما صوره الشاعر الجاهلي، كما أن هذا الكتاب حوى شعراً جاهلياً في أدوات الطبخ والبيوت من جفان وقدرور وآنية للطعام قد يندر وجودها في كتب غيره مما يشهد أن موضوع الوصف اتسعت دائرته لتحتوى ظواهر الحياة الجامدة، والحياة في البيئة الجاهلية - مما عدا الإنسان الذي اختص بالموضوعات الأخرى.

أهم مصادر الشعر الجاهلي:

كان الشعر هو الفن التعبيري الأول في الجاهلية، فما عرف الإنسان العربي في جاهليته فناً أوثق بحياته أو أقدر على احتواء مشاعره من الشعر الذي برع فيه، وبلغ على يديه درجة عالية من الإتقان والجودة. وقد كثر هذا الشعر في الجاهلية، وإزداد انتشاره قولاً وإنشاءً كما ازدادت روايته وحفظه وبلغ من كثرته أن النقاد العرب أقروا بعجزهم وعجز غيرهم عن الإحاطة به. أو بشعر قبيلة واحدة منه، فقال محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة 231هـ⁽¹⁾، "أنه لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب".

وقال ابن قتيبة المتوفى سنة 276هـ⁽²⁾ - "والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائريهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط، أو يقف من وراء عددهم واقف... ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة".

وقد عنى الرواة عبر الأجيال المتوالية برواية هذا الشعر وحفظه،

(1) طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ج1، ص305.

(2) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج1، ص66.

أعانهم على ذلك ذاكرتهم الحافظة وقدراتهم الواعية، وسعيهم لجمع هذا الشعر ودأبهم فى الحرص عليه.

وقد بلغ من عنايتهم بحفظه أن راوية من رواة القرن الثانى الهجرى اسمه أبو ضمضم أنشد لمائة شاعر كلهم اسمه عمرو⁽¹⁾، وإن حماداً الراوية كان يروى سبعمائة قصيدة أول كل منها "بانت سعاد"⁽²⁾.

وإن أبا تمام الشاعر المتوفى سنة 231هـ كان يحفظ من أشعار العرب أربعة عشر ألف أرجوزة⁽³⁾.

وعلى الرغم من هذه الكثرة المفرطة فى الشعر وحفظه وروايته فإنه لم يصل منه إلى عصور التدوين فى القرن الثانى الهجرى إلا كم قليل. لأنه ظل ينقل شفاهة⁽⁴⁾ ما بين القرنين والثلاثة القرون من بدء المروى منه إلى أن استقر تدوينه قال أبو عمر بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير".
والموجود فى الدواوين الشعرية التى بين أيدينا يشهد بصحة ذلك، فما منها ديوان واحد يمكن أن يقال إنه حوى كل إنتاج صاحبه من الشعر.

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج1، المرجع السابق، ص67.

ولعل هذا ما دعا محمد بن داود الجراح إلى عمل كتاب من سمي من الشعراء عمراً فى الجاهلية والإسلام.

(2) الأغاني، ج6، ص92.

(3) تاريخ التمدن الإسلامى، ج2، ص25.

(4) يؤكد الدكتور/ ناصر الأسد أن هذا الشعر، أو بعضه، قد كتب فى صحائف متفرقة. أو دواوين مجموعة منذ عهد مبكر جداً، وربما كتب بعضه من العصر الجاهلى، راجع: مصادر الشعر الجاهلى 482.

وقد صنف الرواة الذين جمعوا هذا الشعر - كله أو بعضه في عدة أشكال من التصنيف تنتمي كل مجموعة منها إلى شكل معين فكان منها :

1- الدواوين الشعرية : وفي كل ديوان منها يجمع الراوية كل شعر صحت نسبته عنده لصاحب الديوان، وقد كثرت العناية بهذه الدواوين، وتعدد جامعوها، وبلغ من عنايتهم بها أن أبا سعيد السكري عمل منها واحدا وخمسين ديوانا كان أكثرها قد جمع من قبله⁽¹⁾ وبلغ من شدة اهتمامهم بها أن ديوانا واحدا منها هو ديوان امرئ القيس عمل أو طبع ست عشرة مرة⁽²⁾.

2 أشعار القبائل : وفي كل كتاب منها يجمع الراوية ما صح عنده من أشعار قبيلة بعينها، وينسبه إلى قائله من أبناء تلك القبيلة الشعراء، أو يهمل نسبته أحيانا وقد عمل أبو عمرو الشيباني من ذلك " أشعار نيف وثمانين قبيلة"⁽³⁾ في نيف وثمانين كتابا وعمل أبو سعيد السكري أشعار ست وعشرين قبيلة⁽⁴⁾، أو ثمان وعشرين⁽⁵⁾ وذكر أبو الحسن بن بشر الأمدى أنه رجع إلى ستين كتابا من كتب القبائل وهو يؤلف كتابه

(1) الفهرست، ص 224 - 226 ويؤيد هذه الكثرة ما رجع إليه عبد القادر البغدادي من هذه الدواوين وسجله في كتابه "خزانة الأدب"، وما رجع إليه العيني وسجله في "المقاصد النحوية".

(2) مصادر الشعر الجاهلي، ص 485، 486.

(3) الفهرست لابن النديم 117.

(4) المصدر السابق، ص 117.

(5) أضاف إليها الدكتور/ ناصر الدين الأسد ديوانين جمعتهما من المصادر الأخرى.

راجع مصادر الشعر الجاهلي 546.

”المؤتلف والمختلف⁽¹⁾“، ونقل بعض أشعار تلك القبائل فى هذا الكتاب.

3. المختارات الشعرية : وفى كل منها يختار جامعها عدداً من القصائد والمقطوعات أو من القصائد وحدها، أو من المقطوعات وحدها - يختار ما يراه جيداً فى نظره- من غير أن يدل على أسباب اختياره وظواهر جودته عنده. ومن أشهر هذه المختارات :

أ) **المعلقات:** وهى قصائد سبع اختارها حماد الراوية لشعراء سبعة هم امرؤ القيس، وزهير، وطرفة، ولييد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وعنترة لكن صاحب جهرة أشعار العرب استبدل بمعلقتى الحارث ابن حلزة وعنترة قصيدتين للنابعة الذبياني وأعشى قيس، وجاء أبو جعفر بن النحاس فشرح القصائد التسع، ثم جاء التبريزى فشرح القصائد التسع وأضاف إليها قصيدة لعبيد بن الأبرص، فصارت عشرة، اتفق جميع الرواة والشارحين على الخمس الأولى منها واختلفوا فى الخمس الأخرى.

ب) **المفضليات:** وقد اختارها المفضل الضبى الراوية الكوفى المشهور، وقد تختلف فى عدد قصائدها ومقطعاتها المروية عن المفضل، فمن الناس من يقول إنها ثمانون⁽¹⁾، ومنهم من يقول إنها مائة وثمان وعشرون⁽²⁾،

(1) مصادر الشعر الجاهلى، ص543، 544.

(2) العصر الجاهلى، ص176.

(3) راجع ما كتب عن ذلك فى أمالى القالى، ج3، ص130، وابن النديم فى الفهرست، ومحققا المفضليات فى مقدمتها على التحقيق، ص10 - 23، والدكتور/ ناصر الأسد فى مصادر الشعر الجاهلى، ص479 - 577، والدكتور/ شوقى ضيف فى العصر الجاهلى، ص177.

والموجود بين أيدينا فى المطبوعة المحققة مائة وثلاثون⁽¹⁾ لست وستين شاعرا منهم ستة وأربعون جاهليا وأربعة عشر مخضرمًا.

ج) الأصمعيات: اختارها الراوية البصرى الكبير: عبد الملك بن قريب الأصمعي، وهى فى المطبوعة التى بين أيدينا⁽¹⁾ اثنتان وتسعون قصيدة ومقطعة وأرجوزة لواحد وسبعين شاعرا منهم واحد يسميه الأسدى نسبة إلى بنى أسد. ومنهم واحد يقول عنه: بعضهم ومنهم أربعة وأربعون جاهليون وأربعة عشر مخضرمون، وتتفق الأصمعيات مع المفضليات فى عدد من مختاراتها، مع اختلاف فى بعض الأبيات بين الكتابين.

د) جمهرة أشعار العرب: وهى لراوية اسمه أبو زيد محمد بن الخطاب القرشى، وقد حوت هذه الجمهرة تسعا وأربعين قصيدة، قسمها سبعة أقسام، كل قسم منها يشتمل على سبع قصائد، أطلق على المجموعة الأولى منها المعلقات والمجموعات الخمس التالية لها وهى - المجهرات، والمنتقيات والمذهبات والمراثى والثوبات لشعراء جاهلين ومخضرمين، والأخير منها وهى: "الملحمات" لشعراء إسلاميين.

هـ) دواوين الحماسة: وأقدمها ديوان الحماسة لأبى تمام الشاعر المشهور وقد جعله أبو تمام فى عشرة أبواب، أكبرها باب الحماسة وبه سميت المجموعة كلها، وقد اختار فيه لشعراء جاهلين وإسلاميين وعباسيين.

وقد جمع البحرى الشاعر تلميذ أبى تمام ديوانا آخر سُمى حماسة

(1) طبع دار المعارف بمصر، ط4.

(2) الطبعة الثالثة عن دار المعارف بمصر.

البحترى وهى مقطوعات قصيرة مقسمة حسب معانيها إلى مائة وأربعة وسبعين بابا.

مختارات ابن الشجري:

المتوفى سنة 542هـ وتضم مختارات من الشعر الجاهلى والإسلامى. وقد طبعت بالقاهرة.

دواوين الشعراء الستة الجاهليين :

وقد جمعها الأصمعى من شعر امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفه وعنترة وعلقمة، وقد شرحها الشنتمرى.

وقد طبع ديوان امرئ القيس مستقلا عدة طبعات أهمها طبعة دار المعارف. كما نشرت دار الكتب ديوان زهير. شرح ثعلب. كما طبعت دواوين النابغة وطرفه ولبيد وعروة بن الورد وحاتم وعلقمة والشنفرى وأوس بن حجر وسلامة بن جندل. وغيرهم، ونشرت كذلك أشعار الهذليين وديوان أبى ذؤيب الهذلى.

شرح النقااض :

وهو لأبى عبيدة وقد جمع فيه كثيرا من الشعر الذى قيل فى أيام العرب.

ومن الكتب التى تناولت أيام العرب أيضا الكامل لابن الأثير. والعقد الفريد لابن عبد ربه.

ولم يقف الاهتمام بالشعر المروى عن الجاهليين والإسلاميين عند جمعه وتصنيفه، إنما امتدت إليه أيدي العلماء والناقدين بالشرح والنقد

والدراسة منذ القرن الثاني الهجري، وكثرت الكتب فى ذلك، وتتنوعت موضوعاتها، وحوى كثير منها آراء الرواد الذين جمعوا الشعر، ومن هذه الكتب :

(أ) كتب طبقات الشعراء :

ولعل أقدم ما وصل إلينا منها كتاب " طبقات فحول الشعراء (1) " لمحمد ابن سلام الجمحى، والكتاب - إلى جوار أهميته فى نقد الشعر - يُعد مصدراً من مصادره، وواحداً من الكتب التى حفظت أخبار الشعراء وقد اعتمد عليه المؤلفون فى الشعر وفى الأخبار من بعده، ومنهم صاحب الأغاني (2).

(ب) كتب معانى للشعر :

وقد بدأت هذه الكتب مبكرة، واهتم بها الرواة والمعلمون لتفسير الغريب من لغة الشعر المروى، وتقريبه من أفهام الناس، وكتب فيها من أصحاب الخليل بن أحمد وأبو فيد مؤرخ السدوسي (3) ومن معلمى البادية أبو روان العلكي (4) وتوالى الكتابة فيها من بعد ذلك.

ويعد (كتاب المعانى الكبير) لابن قتيبة - وهو أحد الكتب الباقية من كتب معانى الشعر - مصدراً من مصادر الشعر لما يحويه من الأبيات، والمقطعات والقصائد النادرة فى مختلف الموضوعات الوصفية التى توشك أن

(1) اسمه فى الفهرست، ص 165 كتاب طبقات الشعراء الجاهليين، وطبقات الشعراء الإسلاميين.

(2) مقدمة تحقيق الطبقات، ص 47 وما بعدها.

(3) الفهرست، 71.

(4) المصدر السابق، ص 69.

تشمل أنواع الجدران والحشرات وأدوات الطعام، مما لا يوجد نظيره فى غيره من الكتب.

(ج) كتب سرقات الشعراء :

وواضح من عنوانها أنها تدرس المعانى التى أخذها الشعراء بعضهم من بعض، أو من مصدر آخر غير الشعر، ولم تكثف هذه الكتب بالحديث عن الجاهليين وحدهم، إنما تحدثت عن الشعراء الإسلاميين والعباسيين، ومن هذه الكتب "كتاب سرقات الكميت من القرآن" الذى ألفه ابن كناسة المتوفى سنة 207ه⁽¹⁾، وكتاب "سركات الشعراء" الذى كتبه ابن السكيت المتوفى سنة 216ه⁽²⁾.

(د) كتب أخبار الشعراء :

وقد كثرت هذه الكتب كثرة ظاهرة، وبدأت فى أزمنة مبكرة وتوالى عليها كثير من أهل الحضرة وأهل البادية. ويعد كتاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة أقدم ما وصل إلينا منها، وهو يترجم للكثير من الشعراء الجاهليين والإسلاميين، والعباسيين، ويختار من شعرهم ما يستحسنه ويذكر من شعر الواحد منهم ما لا يحسن عنده، ويسجل ما أخذ متأخرهم من معانى متقدمهم. وهناك كتب أخرى ألفت فى موضوعات مختلفة من الشعر، وجمعت أبياتا فى أغراض متفاوتة مثل كتب "الأبيات السائرة" وكتاب "ما قيل فى الحيات من الشعر والرجز وغيرها".

(1) الفهرست، المرجع السابق، 105.

(2) المصدر نفسه، 108.